

السياسة الدينية في فكر القاضي عياض

(476 - 544 هـ)

الدكتور محمد عز الدين المعيار الإدريسي

أستاذ التعليم العالي - رئيس المجلس العلمي لمراكش

قبل ولوج هذا الموضوع وخوض غماره، في حدود ما يتسع له هذا المقال، أمهد له بمقدمتين :

الأولى : لماذا القاضي عياض بالذات؟ والثانية : ما المقصود بالسياسة الدينية؟

المقدمة الأولى: يبدو أن عياضا، خيّر من يمثل العالم المغربي الأنموذج فهو "رأس علماء المغرب في الإسلام ، صدق علمه شهرته، داخل المغرب وخارجه"¹

وهو كذلك أبرز - وربما أول - عالم مغربي يلتقي فيه ما أصبح يعرف اليوم بالثوابت الدينية، و من ثم نال ما نال من تقدير وإجلال، لخصته تلكم المقولة الشهيرة "لولا عياض ما ذكر المغرب"

قال محمد الصغير الإفرائي : (المتوفى في نحو 1156هـ): "شاع الآن على الألسنة أن يقولوا : "لولا عياض ما ذكر المغرب" ولم أقف عليها لأحد من الأقدمين، ولا يبعد ذلك من حاله رحمه الله، فقد كان مفخرة من مفاخر المغرب، وآية من جلاله أهله تُعرب"²

والواقع أن المقولة وردت قبل الإفرائي نجدها قبله بنحو قرن ونصف في كتاب شمس المعرفة للحلفاوي (المتوفى على رأس المائة

¹ الفكر السامي: 261/2

² درر الحجال في مناقب سبعة رجال: 161

العاشرة للهجرة) حين قال: "قال العلماء من أهل الرسوم : لولا عياض ما ذكر المغرب، و قال أهل الفهوم : لولا الشفا ما ذكر عياض بين الرسوم، لأن غيره قد ألف أكثر من تواليه وهو مع ذلك غير معلوم"

ومما يدل أيضا على مكانة القاضي لدى الخاصة و العامة، ما نقل عن أبي عبد الله بن المبارك (ت1085هـ) قال: "لما قدم أبو علي اليوسي لزيارة ضريح عياض في حدود المائة وألف، عرض له جيران ضريح أبي الفضل فقالوا له: "يا سيدي أرنا حد حرم أبي الفضل، يعنون من ضريحه إلى باب حومته القريب، فقال لهم: أبو علي : المغرب كله حرم لأبي الفضل رحمه الله¹

وقد وقع الاختيار في هذه المقالة، على القاضي من بين رجال مراكش السبعة لما ذكر، بالإضافة إلى أنه أقدمهم على الإطلاق، وأكثرهم شهرة في الآفاق، و أجمعهم لما تفرق فيهم...

المقدمة الثانية: مفهوم السياسة الدينية :

راجت في الثقافة الإسلامية، في فترات مختلفة وما تزال، بعض المفاهيم ذات الصلة بالسياسة والدين، كالأحكام السلطانية وللإشارة فلعل أقدم مصنف فيها في الغرب الإسلامي هو "كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة " لأبي بكر الحضرمي المرادي (ت 489 هـ)² والسياسة الشرعية، وأدب الدنيا والدين، والإسلام دين ودولة، وسياسة الدين ونحو ذلك وأصبحت اليوم علوم سياسة الدين أو السياسة والدين أو الدين والسياسة، واحدة من أحدث الفروع الجانبية للعلوم السياسية.

وعلى الرغم من كل ذلك، فإنه ليس من همنا هنا أن نضع تحديدات نظرية دقيقة لهذه المصطلحات أو الإطلاقات، وإنما سننطلق

¹ درر الحجال في مناقب سبعة رجال: 161- 162

² الغنية ص: 226 وتطور المذهب الأشعري ص: 84 - 88 . و الكتاب مطبوع

من أبسط معاني السياسة، وهو القيام على الشيء بما يصلحه وبمعنى استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في الدنيا والآخرة على حد تعبير التهانوي في كشاف الاصطلاحات والفنون¹

- و يعيننا في هذا السياق من ذلك، مسؤولية العلماء من زاوية رسالتهم المنوطة بهم، من منطلق حفظ ميراث النبوة و تبليغه بكل أمانة² في إطار الحديث النبوي الشريف "يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله"

بعد هاتين المقدمتين المهمتين، أنتقل إلى صلب الموضوع الذي سأتناوله من خلال أربعة محاور وفق الثوابت وإيجاز قدر الإمكان :

المحور الأول: العقيدة الأشعرية

إن الباحث في علاقة القاضي عياض بالمذهب الأشعري، يواجه إشكالا يتصل بعلاقة العصر المرابطي نفسه بهذا المذهب، ذلك أن ما يتداوله المؤرخون³ هو « ما حيك حول مهدي الموحدين من أن علماء المغرب في عهد المرابطين، لم تكن لهم معرفة بالجدل والنظر، وأنهم . لذلك . لم يستطيعوا أن يثبتوا له في مناظراته، وأن التجسيم كان غالبا عليهم في الاعتقاد فجاء المهدي بن تومرت بعقيدة التوحيد ونشرها، وسعى أتباعه بالموحدين إلى آخر ما قيل وكرر »⁴

وهو ما ضخمه ألفريد بل حسب ما فهمه من كلام صاحب المعجب عن هذه الفترة فقال إنه " في أيام حكم المرابطين ، لم يكن لسكان المغرب من مرشدين روحيين غير فقهاء ضيقي العقول ، فقهاء

¹ كشاف الاصطلاحات و الفنون للتهانوي: 263/2

² أنظر: مهمة علماء الإسلام لعلال الفاسي: 6

³ وعلى رأسهم ابن خلدون في كتابه العبر : 226 - 229 و 266 .

⁴ - الجزء الأول من ترتيب المدارك تحقيق محمد بن تاويت الطنجي نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية تقديم التحقيق ص: ط.

كان كل علمهم مقصورا على المذهب المالكي ، و هؤلاء الفقهاء نزلوا بالدراسات الدينية إلى مستوى دراسات قواعد التشريع مهملين دراسة العقائد واستطاعوا بفضل تأييد الأمير المطلق لهم و احترام الشعب لأشخاصهم أن يفتوا بجواز أمور تتنافى مع الشرع ...¹

وهذا غير صحيح لأن الأمر يتعلق بخدعة سياسية أذاعها ابن تومرت وأنصاره لتوطيد نفوذهم في نفوس الجماهير؛ فكان المؤرخون من أبرز ضحايا هذه الخدعة، ذلك أن زمن ما قبل العصر المرابطي وأثناءه عرف مدرسة تخرج بها القاضي عياض و من قبله شيوخه الذين تعلم علمهم علم الكلام وأصول الدين وما يتصل بذلك من جدل ومناظرة ومعرفة بدقائق آراء المخالفين لأهل السنة، كما تخرج بها كثير من علماء المغرب الذين اشتهروا بعلم الكلام وترجم لهم القاضي في «ترتيب المدارك»، فهذه المدرسة «كانت على علم تام بالجدل والمناظرة وأصول الدين والكلام على مذهب أبي الحسن الأشعري، وكتب الأشاعرة في علم الكلام كانت معروفة بين رجالها يتدارسونها في كافة أنحاء المغرب»،² وذلك ما حدا بأحد الدارسين أن يؤكد على تمثيل عياض لأهل السنة فيقول: «كان عياض . كما يبدو من التقويم العام لشخصيته الفكرية والعلمية . أشعري العقيدة مالكي المذهب، تنطق بذلك عامة كتبه، كما يتجلى في منافحته عن ينعتهم بأصحابنا، ويحتج بالنقل عنهم في تقرير العقائد وغيرها»³،

وعلى الرغم من سلفية ابن رشد الجد، فإن جوابه على رسالة أمير المسلمين علي ابن يوسف في الموضوع، جاء انتصارا للعقيدة الأشعرية،

¹ الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي لألفريد بل - ترجمة عبد الرحمن بدوي: 245-246
² - المصدر نفسه.

³ «تحقيقات في منتهى رحلة القاضي عياض، وهل حج حقا؟ ولقي الإمام الزمخشري وناظره ؟» د. عبد الهادي حميتو ضمن «مرآة التراث» مجلة علمية تراثية محكمة تصدر مرتين في السنة عن مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء العدد الأول، يونيو 2011 ص: 49.

حيث اعتبر أعلامها أئمة خير وهدى، وممن يجب بهم الاقتداء، لكنه في المقابل أوجب على من ولاه الله أمر المسلمين، أن ينهى العامة المبتدئين، من قراءة مذاهب المتكلمين من الأشعريين... ومع ذلك فقد احترم الأشاعرة، موقف ابن رشد هذا، وظلوا يذكرونه بإكبار. وسنستدل على أشعرية القاضي عياض بجملة من الأدلة، ثم نذيلها بأمثلة من فكره العقدي، وذلك بإيجاز شديد

الدليل الأول:

يعتمد هذا الدليل عل أن هناك مدرسة أشعرية في الغرب الإسلامي تتكون من الممثلين الأوائل للمذهب وتلاميذهم في هذا الجناح الغربي من العالم الإسلامي، خلال قرنين تقريبا من ميلاد القابسي (ولد 324 هـ) إلى وفاة القاضي عياض (ت 544 هـ)؛ فقد رحل كثير من هؤلاء من القيروان والأندلس والمغرب، إلى المشرق وأخذوا علم الكلام الأشعري عن أصحابه، وسنذكر من هؤلاء الممثلين الأوائل للعقيدة الأشعرية في الغرب الإسلامي خمسة من الأعلام بأسمائهم فقط لضيق الوقت وهم على التوالي:

الأول: أبو الحسن علي بن محمد بن خلف القابسي (324. 403هـ)، المالكي الضرير،¹ وعنه أخذ أبو عمران الفاسي²

والثاني: أحمد بن محمد المعافري، أبو عمر الطلمنكي (340-429هـ)³

¹ تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي ليوسف احناتة، منشورات وزارة الأوقاف الطبعة الثانية 2007 ص: 68 - 72 .

² ترتيب المدارك للقاضي عياض نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية تحقيق جماعة 7: 100- 92 .

³ تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي ص: 72 - 75 .

والثالث: موسى بن عيسى، أبو عمران الغفجومي الفاسي (430.368هـ)، تفقه بأبي الحسن القاسبي، ورحل إلى الأندلس والمشرق، ودرس الأصول على موطد أركان المذهب الأشعري أبي بكر الباقلاني؛ فكان نافذا في علم الأصول¹

والرابع: سليمان بن خلف أبو الوليد الباجي (403 - 474هـ)².

والخامس: محمد بن الحسن أبو بكر الحضرمي المرادي (ت 489هـ)،

وقد ساهم هؤلاء العلماء ومن جاء بعدهم من تلاميذهم المباشرين في نشر العقيدة الأشعرية تدريسا ورواية وتأليفا وتوظيفاً في معالجة قضايا العقيدة التي تثيرها موضوعات الجدل والمناظرة والرد على المخالفين، والتراجم والتربية والتعليم والسيرة النبوية وغيرها.

فمن التلاميذ الذين أخذوا علم الكلام عن أبي الوليد الباجي (403.474هـ) والذين أخذ عنهم القاضي عياض وترجم لهم في «الغنية»³:

1 - الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي (ت 520هـ)⁴

2 - أبو القاسم عبد الرحمان بن محمد المعافري (ت 502هـ)

ومن شيوخ القاضي عياض شيخان كانا ممن عمل على ترسيم المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، وقد ترجمهما في «الغنية».

ويعتبر هذان الشيخان من أقوى الأدلة على أشعرية القاضي

عياض

¹ تطور المذهب الأشعري ص: 80 - 84.

² ترتيب المدارك نفسه، وينظر أيضا في مضامين أشعريته: تطور المذهب الأشعري ص: 75 - 79.

³ الغنية، فهرست شيوخ القاضي عياض تحقيق ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي بيروت الطبعة الأولى 1982.

⁴ الغنية: 64، وما قبلها.

3- يوسف بن موسى الكلبى المتكلم النحوي، أبو الحجاج الضرير (ت 520 هـ) ¹ يقول عنه تلميذه القاضي عياض في فهرسة شيوخه «الغنية»: كان من المشتغلين بعلم الكلام على مذهب الأشعرية ونظار أهل السنة سكن بلدنا مدة (يعني: مدينة سبتة) وتردد بالأندلس والمغرب وكان آخر المشتغلين بعلم الكلام بالمغرب، وأضاف: «قرأت عليه أرجوزته الصغرى التي ألف في الاعتقادات، وحدثني بالكبرى وبكتاب التجريد لأبي بكر المرادي، وأجازني أرجوزته الكبرى وجميع تواليفه ورواياته منها تأليف الفقيه أبي بكر المرادي، شيخه وعنه كان أكثر أخذه».²

4 - محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري (468 - 543 هـ)³ ومن شيوخ القاضي عياض، الذين ذكر في تراجمهم في «الغنية» أنهم أخذوا المذهب الأشعري، عن قادة المذهب الأوائل في المشرق، أو أنهم اشتهروا بالاشتغال به في المغرب:

5- عبد الله بن أحمد أبو محمد التميمي (ت 501 هـ) قال القاضي عياض في ترجمته: «كان رجلاً عدلاً ببلدنا حج قديماً فلقي أبا المعالي الجويني» قرأ عليه القاضي عياض وأجازه وتوفي بسبتة.⁴

6 - سهل بن علي بن عثمان النيسابوري أبو نصر الشيخ التاجر (ت 531 هـ) أدرك الإمام أبا المعالي الجويني بنيسابور بلده وحضر مجلسه ودرسه ولقي بعده أصحابه، لقيه القاضي عياض بسبتة.⁵

¹ تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي ليوسف احناة، ص: 103 - 111 .

² الغنية: 226 .

³ الغنية ص: 66 - 72، وتطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص: 125 - 138

⁴ الغنية، ص: 159.

⁵ الغنية، ص: 209 .

7 - الحسن بن عبد الأعلى، أبو علي الكلاعي، من أهل سفاقس، سكن المغرب كثيرا والأندلس درس في بلاد المصامدة، واستوطن سبتة أخيرا، كان محققا فقيها أصوليا متكلمًا تكرر عليه القاضي عياض وجالسه كثيرا وأخذ عنه وانتفع به.¹

8 - عبد الغالب بن يوسف، أبو محمد السالحي، (ت 516 هـ) المتكلم على مذاهب أهل السنة من الأشعرية، صحبه القاضي عياض كثيرا بسبتة مدة أقامته بها وناولته كثيرا من مجموعاته توفي بمدينة مراكش.²

9 - سعيد بن أحمد بن سعيد السفاقسي اجتاز بمدينة سبتة وسكن أغمات كان من المحققين بالفقه والكلام.³

نخلص من هذا إلى أنه كانت هناك مدرسة تخرج بها القاضي عياض وشيوخه وشيوخهم في العقيدة الأشعرية و« الغنية » هي الدليل الذي لا يدع مجالا للشك على وجود هذه المدرسة الأشعرية بالغرب الإسلامي قبل العصر المرابطي وأثناءه ، وذاك دليل في الوقت ذاته على أشعرية القاضي عياض باعتباره كان نتيجة من جملة نتائج هذه المدرسة التي تجسد شجرتها فهرسة الشيوخ « الغنية ».

الدليل الثاني:

وهناك دليل ثان على أشعرية عياض قدمه العلامة المحقق محمد بن تاويت الطنجي في مقدمة تحقيق الجزء الأول من « ترتيب المدارك » ويتعلق بكتاب آخر للقاضي عياض وهو كتاب « الشفا » قال: « واحتجاج عياض المتكرر في كتاب « الشفا » بآراء أبي الحسن الأشعري

¹ الغنية، ص: 140.

² الغنية، ص: 170.

³ الغنية، ص: 210.

والقاضي أبي بكر الباقلاني وأبي بكر بن فورك وأبي المعالي إمام الحرمين الجويني يثبت كل ذلك صلته الوثيقة بمذهب الأشعرية وبكتبهم وقراءته لمؤلفاتهم في الاعتقاد، ووصفه للباقلاني وأبي بكر بن فورك بقوله: « من أئمتنا » دال على أنه أشعري المذهب¹.

الدليل الثالث:

وهناك دليل آخر على أشعرية عياض، يتعلق بمعرفته الواسعة بالمذاهب الاعتقادية وآراء أصحابها،² وقد أوضح انتماءه الأشعري في مواضع من كتاب «الشفاء» وغيره، من ذلك قوله في ختام الباب الثالث في الإخبار بعظيم قدره: « ثبتنا الله وإياك على التوحيد والإثبات والتزيه، وجنبنا طرفي الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته ».³

الدليل الرابع:

وهناك دليل رابع على أشعرية عياض يتعلق بترجمته لأعلام المذهب الأشعري في كتابه «ترتيب المدارك» وعلى رأسهم مؤسس المذهب أبو الحسن الأشعري،⁴ فقد تعرض في ترجمته لأمر تؤكد انتماءه للعقيدة الأشعرية من جميع الجوانب من ذلك:

مضامين عقيدة الأشعري ومنهجه

فبعد حديثه عن اسمه ونسبه وتحقيق كونه مالكيًا أبرز مضمون عقيدته ومنهجه قائلا عنه: « وصنف لأهل السنة التصانيف، وأقام

¹ مقدمة الجزء الأول من ترتيب المدارك: ح.

² المصدر نفسه.

³ الشفا بتعريف حقوق المصطفى لعياض طبعة دار الفكر 1 : 246 ، و « تحقيقات في منتهى رحلة القاضي عياض ... » د. عبد الهادي حميتو ضمن « مرآة التراث » مجلة علمية تراثية محكمة تصدر مرتين في السنة عن مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء العدد الأول، يونيو 2011 ص: 49 - 50 .

⁴ ترتيب المدارك 5 : 24 - 30 .

الحجج على إثبات السنة، وما نفاه أهل البدع من صفات الله تعالى، ورؤيته، وقدم كلامه، وقدرته، وأمور السمع الواردة من الصراط والميزان، والشفاعة، والحوض وفتنة القبر التي نفت المعتزلة، وغير ذلك من مذاهب أهل السنة والحديث، فأقام الحجج الواضحة علمها من الكتاب والسنة والدلائل الواضحة العقلية، ودفع شبه المبتدعة ومن بعدهم من الملحدة والرافضة، وصنف في ذلك التصانيف المبسوبة التي نفع الله بها الأمة، وناظر المعتزلة، وكان يقصدهم بنفسه للمناظرة¹ وقال عن ثناء أهل السنة عليه وعلى مذهبه: « فأهل السنة من أهل المشرق والمغرب بحججه يحتجون، وعلى منهجه يذهبون، وقد أثنى عليه غير واحد منهم، وأثنوا على مذهبه وطريقه² ».

تلك جملة من الأدلة على أشعرية القاضي عياض.

وهذه بعض النماذج من فكره العقدي من كتبه:

- رؤية الله تعالى في الجنة: حكى القاضي عياض إجماع الأمة على رؤية الله تعالى في الآخرة فقال عند شرحه لحديث: "إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم..." قال: "مذهب أهل السنة أجمعهم جواز رؤية الله عقلا، ووجوبها في الآخرة للمؤمنين سمعا، نطق بذلك الكتاب العزيز، وأجمع عليه سلف الأمة"³

وفي معرض حديثه عن أنواع العبادة: -الخوف والرجاء والدعاء والمحبة والذكر والنذر - قال عن المحبة: "إن محبة الله تعالى ثمرة المعرفة به وبصفاته العلى"، وعند شرحه لحديث: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان " قال: "وحب العبد لله على قدر معرفته لجلاله

¹ المصدر نفسه 5 : 24 .

² نفسه.

³ إكمال المعظم: 1/540

وكمال صفاته وتقدسه عن النقائص، وفيض إحسانه، وأن الكل منه، وكل جمال وجلال فمضاف إليه، وكل فضل وإجلال فمن بسط يديه لا إله غيره"¹

وفي موضوع مصادر معرفة أسماء الله تعالى قال القاضي عياض مبينا مذهب الأشاعرة في ذلك فقال: "مذهب الأشعرية أن أسماء الله توقيفية لا يسمى سبحانه إلا بما سعى به نفسه في كتابه، أو على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو انعقد على التسمية به إجماع"² وفي تسمية الله تعالى برمضان ذهب القاضي عياض إلى أن رمضان ليس اسما من أسماء الله تعالى وأجاز أن يطلق مجردا عن كلمة شهر لأن الأحاديث قد صرحت بذلك كقوله صلى الله عليه وسلم: "من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه"³

وقال: "في قوله: "من قام رمضان" حجة لمن أجاز تسمية الشهر برمضان وقد ذكر ذلك بعضهم، وقال: رمضان اسم من أسماء الله وإنما يقال: شهر رمضان كما جاء في القرآن..."⁴ وقال في موضع آخر: "روي أثر في النهي عن ذلك، وأن رمضان اسم من أسماء الله وهو أثر لا يصح"⁵ يعني حديث: "لا تقولوا رمضان، فإن رمضان اسم من أسماء الله تعالى" وهو حديث موضوع⁶

القول بالمجاز والتأويل في أحاديث الصفات : مثال ذلك :صفة

الكلام :فقد بين القاضي عياض أن كلام الله تعالى تام لا يدخله نقص،

¹ إكمال المعلم 287/1

² إكمال المعلم :39/1

³ صحيح البخاري :كتاب الإيمان باب تطوع قيام رمضان من الإيمان

⁴ إكمال المعلم 112/3

⁵ نفسه :5/4

⁶ انظر :الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة " للشوكاتي

كما يدخل كلام البشر، وتأول هذه الصفة بتأويلات وذلك في معرض شرحه لحديث: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم"¹ قال: "معنى (لا يكلمهم): أي بكلام أهل الخير وإظهار البر، بل بكلام أهل السخط والغضب، وقيل: لا يسمعهم كلامه بغير سفير، وقيل: معنى ذلك: الإعراض والغضب"²

وحمل القاضي عياض صفة "ضحك الله" على الاستعارة لأن الله تعالى لا يجوز عليه الضحك المعلوم لأنه إنما يصح من الأجسام وممن يجوز عليه تغير الحالات والله منزّه عن ذلك ثم تأوله برضى الله على فعل عبده ومحبه للقائه، وعند شرحه لحديث: "لا يزال يدعو حتى يضحك الله منه..." قال: "جاءت الآثار الصحيحة بإضافة الضحك إليه، فحمل العلماء ذلك على الرضى بفعل عبده ومحبه للقائه، وإظهار نعمه وفضله عليه وإيجابها له"³

عصمة الأنبياء: قال عياض: "...وأما عصمتهم قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب أنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك، وقد تعاضدت الأخبار والآثار عن الأنبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والإيمان، ولم ينقل أحد من أهل الأخبار أن أحدا نبيء واصطفي ممن عرف بكفرواشرأك قبل ذلك، ومستند هذا الباب النقل"⁴

كما نص عياض على عصمة الأنبياء من جميع الذنوب صغيرها وكبيرها، لأنه لو صح ذلك منهم لما لزمنا الاقتداء بهم في أفعالهم

¹ صحيح البخاري: كتاب المساقاة - الشرب، باب من رأى أن صاحب الحوض والقربة أحق بمانه

² إكمال المعلم: 380/1

³ نفسه: 558/1

⁴ الشفا: 293

وتقريراتهم و كثير من أقوالهم¹ وحكى إجماع الأمة على عصمة الأنبياء فيما كان طريقه البلاغ² وكذلك عصمتهم من الشيطان، قال: "واعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان وكفايته منه، لا في جسمه بأنواع الأذى، ولا في خاطره بالوساوس"³

المحور الثاني : المذهب المالكي :

يشعر الباحث منذ الوهلة الأولى وهو يجيل النظر فيما كتب حول عياض الفقيه بأنه لم يحظ بما يستحق من البحث والدراسة مع أن جانب الفقه من شخصيته العلمية هو الأول والأقوى، وإن كنا لا نشاطر أخانا الدكتور عمر الجيدي رحمه الله الرأي في التنقيص من مكانة عياض في المجالات الأخرى كقوله إنه دون الشعراء المطبوعين وأنه كان أديبا متكلفا في نثره وشعره ومع اعترافه بمكانته في الحديث، فهو مع ذلك يقصر في رأيه عن درجة المحدثين الكبار أما في ميدان الفقه فهو كما قال: "بحر لا تكدره الدلاء ينساب الفقه من قلمه انسياب نهر جارف يحمل معه الثراء والعمق وحسن التعليل : قدرة على الترجيح وقوة في الاستنباط وبراعة في التشهير والتضعيف والاختيار ، زاده تمرسه بالقضاء تضلعا فيه يجوز معه القول بأنه آخر من يعتد بثقافته الفقهية في الغرب الإسلامي ""⁴

كان القاضي عياض عند قيام الدولة الموحدية، أحد رموز المالكية البارزين في الغرب الإسلامي، وفي غيره من بلاد الإسلام

¹ انظر: إكمال المعلم : 46/4 و أيضا 584/1

² الشفا: 301

³ نفسه: 298

⁴ ندوة الإمام مالك - دورة القاضي عياض: 8/1

ولا عجب فقد كان كما وصفه ابن فرحون: "فقيها أصوليا ...
بصيرا بالأحكام عاقدا للشروط حافظا لمذهب مالك رحمه الله تعالى ...
صلبا في الحق"¹

وألف في هذا المجال مؤلفات تشهد بعلو كعبه وطول باعه فيه
مثل: كتاب التنبيهات على المدونة وهو من كتب المالكية
والإعلام بحدود قواعد الإسلام
ومذاهب الحكماء في نوازل الأحكام
ونظم البرهان على جزم الأذان
والمقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان
والأجوبة المحبرة على الأسئلة المتخيرة
وأجوبة القرطبيين

وأجوبته عما نزل في أيام قضائه من نوازل الأحكام في سفر
ولعله نوازل الأحكام المذكور قبله
وترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك

وإن الناظر في مؤلفات القاضي عياض الأنفة الذكر ليقف
مندهشا أمام كثير من التخریجات والتوجهات والاستنباطات الدقيقة
لكثير من القضايا الفقهية وغيرها والتي تدل على ما أوتيته من ذهن
متيقظ، وفهم ثاقب، وإدراك عميق لضوابط النصوص ومعانيها، وبعد
نظر محكم لمقاصد النصوص وكيفية تنزيلها على القضايا والنوازل
وإبصار دقيق بقضايا المجتمع، وجرأة فائقة على انتقاد غيره، يضاف إلى
هذا ما أوتيته القاضي عياض من اطلاع واسع على قضايا الخلاف

¹ الديباج: 272

العالي، وقد قيل "من لم يعرف الخلاف لم يعرف الفقه"، مما يجعله أحد رواد علم الخلاف في المدرسة المالكية بالغرب الإسلامي، وقد بلغ رحمه الله تعالى درجة الاجتهاد والنظر في المذهب، حتى إنه خالف الإمام مالكا في واحدة وثلاثين مسألة، تتبعها أهل العلم فوجدوها دائرة في الطهارة والصلاة والجنائز والنكاح والبيوع والأوقاف¹ وفي "مسائل أبي الوليد ابن رشد" (الجد) كما جاءت تسميتها في نسخة الدكتور محمد الحبيب التجكاني، "فتاوى ابن رشد" كما جاء في نسخة الدكتور المختار بن الطاهر التليدي نحو 100 سؤال من القاضي عياض وخطاب عياض لشيخه ابن رشد اقترن في هذه المسائل بكثير من الإجلال والاحترام وتطلع إلى ما عند الشيخ من علم غزير كقوله: "الرغبة إلى شيخي المعظم أدام الله جلاله في النظر في هذه المسائل التي أسأله عنها إذ هي نوازل كان من بعض الأصحاب فيها نزاع فأردت الاستنجاد برأيه والاستهداء بهديه والله يعظم أجره ويجزل ذخره بعزته"²

وقوله: "و رغبت أن تشبع لي الجواب في هذا السؤال، فلم أقف فيه على شيء يشفي على كثرة بحثي وفتشي عنه وعن مثله، ولست أريد باب الشهادة في السفر، ولا ما سطره المتكلمون والأصوليون في حخد نقلة متواتر الخبر"

كما اقترن جواب الأستاذ بكثير من التقدير و صالح الدعاء للسائل كقوله: "تصفحت أبقى الله القاضي الأجل، وأعزه بطاعته، وتولاه بكرامته، وأمده بتوفيقه وتسديده الخ..."³

¹ انظر : ندوة الإمام مالك - دورة القاضي عياض : 62-37/2

² الفتاوى : 984 / 2

³ مسائل أبي الوليد ابن رشد الجد : 1185/2

وقوله: "تصفح أَعزك الله بطاعته، وتولاك بكرامته سؤالك هذا ووقفت عليه"¹

وكانت أسئلة عياض لابن رشد قد توالى ما بين سنة 515 و518 هـ ومعلوم أن عياضاً ولي القضاء لأول مرة سنة 515 هـ ومن ثمة كان لجوؤه إلى شيخه الكبير ابن رشد في كثير مما كان يعترضه من قضايا أمراً طبيعياً مع ما في أسئلة عياض من ذكاء وشفوف مما لاحظته الشيخ منذ أول لقائه به

وكتب أكثرها باسم "القاضي بسبته أبي الفضل بن عياض" وقيمة هذه المسائل تكمن في انبثاقها من وقائع ملموسة وحاجات وظروف ملحة في زمن ومكان معينين وما أدت إليه من أحكام اجتهادية، وحل لمشكلات مستعصية، كما أن قيمتها يشترك في أهميتها السؤال والجواب على حد سواء .

وكان عياض يبعث في كل مرة من سؤال إلى خمسة عشر سؤالاً وتدرج في مسائل متعددة لا يتسع المجال هنا لاستعراضها وهذا نموذج موجز منها :

نماذج من فقه عياض :

- القراءة الجماعية : في صحيح مسلم في كتاب الذكر والدعاء - باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر جاء في آخر الحديث "... و ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الحديث".

قال المازري : "ظاهره يبيح الاجتماع لقراءة القرآن في المساجد" قال القاضي عياض : "قد يكون هذا الاجتماع للتعلم بعضهم من بعض بدليل قوله: "و يتدارسونهم بينهم" ومثل هذا لم ينف عنه مالك ولا غيره"².

¹ الفتاوى: 1151/2

² إكمال المعلم: 195/8

-إباحة قراءة القرآن للجنب و الغريب أنه لم يكن يدخل إلى كتبه
إلا على طهارة ، وكأنه كان يشجع طلبة العلم على حفظ القرآن
- وعلى الإمام عشر وظائف، ذكر منها: "أن يجزم تحريره
و تسليمه، و لا يمططها لئلا يسابقه بهما من وراءه"¹ كأنه يضع دليلا
لإمام و الخطيب

- ممنوعاتها (الجمعة) المختصة بها عشر "... والتنفل لها منذ
يخرج الإمام على الناس للخطبة و التنفل بعدها في المسجد وهو للإمام
أشد كراهية...وتخطي الرقاب منذ يجلس الإمام على المنبر..."²
- الصيام: "المستحب عشرة....وست من شوال إذا صيمنت لما ورد
فيها من الفضل، لا لتجعل سنة"³
- الحج على ثلاثة أضرب :إفراد الحج وحده عند الإحرام وهو
أفضلها⁴

- ومستحباته و فضائله خمس وعشرون فضيلة : الإفراد به دون
التمتع و القرآن⁵

المحور الثالث : التصوف السني :

إذا كان التصوف يعني الاستغراق في الالتزام بالقيم، و التجليات
السلوكية الروحية المؤسسة على توجهات الكتاب العزيز و السنة
النبوية المطهرة ، فإن القاضي عياضا يشكل أنموذجا صوفيا بامتياز،
أهلته لذلك تربيته الأسرية، ومشيخته العلمية، والتأثر والتأثير في نخبة
من متصوفة زمانه فضلا عن مصنفاته الناهلة من منابع الصوفية
العذبة الصافية

¹ الإعلام بحدود قواعد الإسلام :76

² نفسه :72-73

³ نفسه :103-104

⁴ الإعلام بحدود قواعد الإسلام :123

⁵ نفسه :128

قال القاضي أبو الفضل رضى الله عنه في معرض تمهيدته للحديث عن أعلام مذهب مالك في ترتيب المدارك: "... وأثبتنا من جِكم حكمائهم، ورقائق وعاظهم، ومناهج صلحاءهم وزهادهم، ما ترجى بركته ولا تخيب - إن شاء الله تعالى - منفعتة . وقد قال سفيان بن عيينة، رحمه الله :
"عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة".¹

وكان عياض كما وصفه ولده محمد في التعريف: "... صغير النفس غير متكبر، جوادا سمحا، من أكرم أهل زمانه كثير الصدقة والمواساة، عاملا مجتهدا، صواما، يقوم ثلث الليل الآخر لجزء من القرآن، لم يترك ذلك قط على أية حالة حتى يغلب عليه، متدينا متورعا، متواضعا متشعرا"²

لكن عندما نرجع إلى كتاب التشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات التادلي باحثين عن ترجمة القاضي عياض نفاجأ بخلوه منها وكان "من حق القاضي يوسف التادلي صاحب التشوف أن يذكر القاضي عياضا والإمام السهيلي لأنه إن لم يكن العلماء أولياء لله فليس من ولي "على حد تعبير القاضي العباس بن ابراهيم المراكشي³ ، وتساءل الأستاذ أحمد التوفيق في مقدمة تحقيقه لكتاب التشوف تساؤلات تفتح آفاق واسعة للبحث عن أسباب هذا الإقصاء: يقول الأستاذ "يجوز لنا أن نتساءل عما إذا كان التادلي قد ترجم لجميع الزهاد والصالحين الفضلاء في المنطقة التي اهتم بها في المدة التي تناولها، فلماذا لم يدرج في كتابه ترجمة القاضي عياض، مؤلف الشفا رغم "منحاه الزهدي"؟ ولماذا لم يترجم للسهيلي صاحب الروض الأنف؟

¹ ترتيب المدارك : 1/

² التعريف : 6 - منشورات جامعة القاضي عياض بمراكش

³ الإعلام : 363/9

و ماذا يقصد عندما يذكر أن الفقهاء قد ظهر عوارهم بصدد قضية الإحياء؟¹

ونص عبارة التادلي المشار إليها هي قوله: "وما طعن عليه (يعني أبا حامد الغزالي) إلا علماء الدنيا الذي أظهر عوارهم والنهار لا يحتاج إلى دليل"²

ويبدو أن أبا الفضل لم يوغل بعيدا في تبني "الأطروحات" الصوفية، وإنما وقف عند حدود الاختيارات الأخلاقية المؤصلة، فقد كان يرى مثلاً أن أبا حامد الغزالي "لو اختصر هذا الكتاب، واقتصر على ما فيه من خالص العلم، لكان كتاباً مفيداً"³

وإذا لم يترجمه التادلي فقد ترجمه من بعده كابن سعد التلمساني (ت 901هـ) الذي خص القاضي عياضاً في كتابه: "النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب"⁴ بترجمة ضافية يقول في مطلعها "كان رحمه الله من أولياء الله بالبلاد المغربية، وممن أجمع على فضله وعلمه علماء الفقه وأكابر الصوفية" ويقول في أواخرها: "وتوالياه رحمه الله دالة على ما له عند الله من الكرامة والعناية، فمن تأمل انتفاع المسلمين بها شرقاً وغرباً علم أن ذلك من أسرار القرب والولاية، وكتابه الشفا هو وسط القلادة، وبرنامج السعادة"⁵

كما خصه محمد الصغير الإفرائي في كتابه "درر الحجال في مناقب سبعة رجال" بترجمة خاصة في سمط من الأسماط كما سماها؟

¹ التشوف : 14

² نفسه : 36

³ التعريف : 93

⁴ مخطوط - المكتبة الوطنية - الرباط برقم 1910 د / نسخة مصورة بمكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء (الجزء الثالث: 237 - 264)

⁵ مخطوط - المكتبة الوطنية - الرباط برقم 1910 د / نسخة مصورة بمكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء (الجزء الثالث: 262)

قال: "السمط الثاني في ذكر الإمام بحر العلم الفياض، و نشر محاسنه التي هي أبهى من زهور الرياض، و ذكر مناقبه التي هي عد قطرات الحياض، قاضي القضاة أبي الفضل سيدي عياض"¹ وترجمه غيرهما..

وسند أبي العباس السبتي كما تذكر المصادر و المراجع يرتفع في الطريقة إلى الأقطاب: الغزالي والجيلاني وأبي يعزى بواسطة سندين من رجالهما القاضي عياض:

أولهما: عن أبي عبد الله الفخار شيخه بسبته عن القاضي عياض عن أبي بكر بن العربي عن الغزالي وأبي يعزى .
وثانيهما عن أبي عبد الله بن الفخار عن القاضي عياض عن أبي علي الصديقي عن عبد القادر الجيلاني.²

وشيوخه ابن العربي موصول السند بالغزالي أخذ عنه المرقعة كما أخذها عنه بدوره بعض تلامذته كأبي يعزى يلنور و أبي الحسن ابن حرزهم الذي قال: "ألبسني القاضي أبو بكر بن العربي، قال: ألبسني أبو حامد الغزالي، قال: ألبسني إمام الحرمين أبو المعالي عن أبي طالب مكي عن أبي القاسم الجنيد عن السري السقطي عن معروف الكرخي إلى آخر السلسلة"³

وفي إطار "مناظراته" أي مناظرات القاضي عياض لبعض متصوفة عصره، أفاد ابن خلكان أنه "كانت بينه وبين ابن العريف مكاتبات حسنة..." وقال: إنه رأى لابن العريف رسالة كتبها إليه فأحب ذكرها، ثم أضرب عنها لطولها"⁴

¹ درر الحجال: 155

² تعطير الأنفاس : 25 وإظهار الكمال: 267/1 وانظر : الحركة الصوفية بمراكش وأثرها في

الأدب / ظاهرة سبعة رجال: 102/1

³ ندوة القاضي عياض: 245/2

⁴ وفيات الأعيان : 484/3

نماذج من مشيخته الصوفية : نص القاضي عياض في الغنية على نخبة من شيوخه المتصوفة، و أغدق عليهم نعوت التبجيل والإكبار، وقرأ عليهم مصنفاتهم في الفن مما لا يتسع الوقت لذكره. من أبرزهم : محمد بن خميس الصوفي الشيخ الصالح قال عياض : " له تأليف سماه المنتقى من كلام أهل التقى "سمعت منه بعضه من لفظه، وأجازني في كتاب الرعاية لحارث المحاسبي"¹.

أعلام متصوفة في ترتيب المدارك : مما يثير المتأمل في مميزات الأعلام المترجمين في "ترتيب المدارك" انتقاء القاضي عياض لنخبة من المتصوفة المالكين الكبار الذين تتبع دقائق سلوكاتهم، مركزا على إشرافاتهم، وكراماتهم، بل خص بعضهم بتراجم وافية منفسحة مثيرة وفي صدارتهم أبو بكر الشبلي (ت344هـ) الذي وسمه ب "شيخ الصوفية وإمام أهل علم الباطن، ذي الأنباء البديعة، والآثار الغربية، وأحد المتصرفين في علوم الشريعة... صحب الجنيد ومن كان في عصره، وكان نسيج وحده له حال وظرف وعلم مالكي المذهب"²

ومنهم : ربيع القطان (ت334هـ) الذي وصفه بأنه "من الفقهاء المعدودين والعباد المجتهدين، والنساک أهل الورع والدين... وكان لسان إفريقيا في وقته في الزهد والرقائق"³

- الشفا وإشراقات صوفية: لا شك أن كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى " هو الذي يعكس الروح الشفافة للقاضي عياض رحمه الله يقول في المقدمة : "أشرق الله قلبي وقلبك بأنوار اليقين، ولطف لي ولك بما لطف به لأوليائه المتقين، الذين شرفهم الله بنزّل

¹ الغنية: 91- 92

² ترتيب المدارك: 30/5-31

³ نفسه: 311/5-312

قدسه وأوحشهم من الخليفة بأنسه، وخصهم من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته، وأثار قدرته بما ملأ قلوبهم حيرة، ووله عقولهم في عظمتة حيرة، فجعلوا همهم به واحدا، ولم يروا في الدارين غيره مشاهدا، فهم بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون الخ¹

ولقد صدق المقري عندما قال: ".. ولا يمتری من سمع كلامه السهل المنور في وصف النبي صلى الله عليه وسلم أو وصف إعجاز القرآن أن تلك نفحات ربانية، ومنحة صمدانية خص الله بها هذا الإمام وحلاه بدرها التنظيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم"

المحور الرابع : (الإمامة العظمى)

عاش القاضي عياض في ظل مرحلة انتقالية صعبة من تاريخ المغرب، في خضم الصراع القوي الشرس أحيانا على السلطة بين الدولة المرابطية الأيلة للسقوط، والدولة الموحدية الوشيكة التربع على سدة الحكم، وكان القاضي عياض إذ ذاك، في موقع الرجل النابه في بلده، والعالم المرموق في وطنه، المطوق عنقه ببيعته وولائه للمرابطين، مع عدم تقبله في قرارة نفسه، لما قامت عليه الدولة الموحدية في أول أمرها، من أفكار مهدوية غير مقبولة لدى القاضي عياض، ومن على شاكلته من علماء عصره ومن جاء بعدهم كما نجد عند الإمام الشاطبي في الاعتصام مثلا وعند أبي علي اليوسي في المحاضرات وغيرهما مما أثرتنا عدم الخوض فيه... وكان عياض كما قال ولده: " يأخذ الأمور بالملاطفة والسياسة ما أمكنه، ويحل الأمور كذلك ما استطاع، وإلا تقوى، وكان يلاطف الأمراء، فإن امتنعوا من الحق تقوى عليهم ..."²

¹ الشفا: 7

² التعريف: 7.

والمهدي بن تومرت رجل داهية عرف كيف ينسج حكاية لقائه
بأبي حامد الغزالي وأنه دعا له بالانتصار على المرابطين الذين أحرقوا
كتابه.

هذه اللعنة التي ظلت تلاحق كل من حدثته نفسه بذلك ولم ينج
منها القاضي عياض نفسه حسب بعض المزاعم التي يكذبها التاريخ،
والواقع أن الباعث الأول لكل ذلك سياسي أيديولوجي مع العلم أن ابن
تومرت كان متأثرا إلى أبعد الحدود بابن حزم لا بالغزالي¹
وفي المقابل كان القاضي عياض، من أبرز خريجي المدرسة المالكية،
التي لم تكن مذهباً فقهياً فحسب، بل مذهباً سلوكياً كذلك.²
ومعلوم أن الدولة المغربية قامت والإمام مالك حي يرزق، بل مات
مؤسس الدولة شهيدا في حياته دون إغفال العلاقة المتينة التي كانت
تربط الإمام بالمولى إدريس بن عبد الله الكامل.
كان مالك كثير السؤال عن أخبار بلاد المغرب، داعيا للأمراء والرعية
بكل خير وسداد، معتنيا بالراجلين إليه منهم من طلبة العلم، راعيا لهم
مقربا إياهم، حتى ليغار منهم بعض زملائهم.
كان الإمام يجلس عبد الله بن غانم القاضي، وإذا جاء أقعده إلى
جانبه ويسأله عن أخبار المغرب وإذا رأى أصحابه ذلك قالوا: شغله المغربي
عنا .

سأل مالك زياد بن عبد الرحمن شبطون عن هشام بن عبد
الرحمن بن معاوية الأموي أمير الأندلس، فلما أخبره عن ما هو به
وحسن سيرته، قال مالك: "ليت الله زين سمتنا بمثل هذاودون الإطالة
في هذه النقطة، هذه جملة من النصوص لعياض في موضوع الإمامة
العظمى اخترناها من خلال كتاب إكمال المعلم :

¹ انظر مواقف للدكتور الجابري العدد: 23

² شيوخ العصر في الأندلس: 16-17

1 - قال عياض: "و قول : (الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم لمسلمهم ، وكافرهم لكافرهم)¹ هذه الأحاديث وما في معناها في هذا الباب حجة أن الخلافة لقريش، وهو مذهب كافة المسلمين وجماعتهم، وبهذا احتج أبو بكر وعمر على الأنصار يوم السقيفة، فلم يدفعه أحد عنه، وقد عدها ناس من مسائل الإجماع، إذ لم يؤثر عن أحد من السلف فيها خلاف، قولاً وعملاً، قرناً بعد قرن إلا ذلك، وإنكار ما عده²"

وهذا الكلام موافق لما بينه الماوردي في قوله: "وأما أهل الإمامة فالشروط المعتبرة فيهم سبعة... والسابع النسب، وهو أن يكون من قريش لورود النص فيه وانعقاد الإجماع، ولا اعتبار بضرار حين شد فجوزها في جميع الناس"³

2 - قال عياض: "لا يجوز الخروج على الإمام العدل باتفاق"⁴

3- قال عياض: "لابد من إقامة خليفة، وهذا مما أجمع المسلمون عليه بعد النبي صلى الله عليه وسلم في سائر الأعصار خلافا للأصم"⁵
وهو كذلك مثل قول الماوردي: "الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع وإن شد عنهم الأصم"⁶
ثم ساق قول الأفوه الأودي :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم... ولا سراة إذا جهالهم سادوا⁷

¹ صحيح مسلم : كتاب الإمارة - 199/12.

² إكمال المعلم : 214/6.

³ الأحكام السلطانية 6-7

⁴ إكمال المعلم 246/6

⁵ نفسه : 220/2

⁶ الأحكام السلطانية : 5

⁷ نفسه

4- قال عياض : "لا خلاف بين المسلمين أنه لا تنعقد الإمامة للكافر ، ولا تستديم له إذا طرأ عليه، وكذلك إذا ترك إقامة الصلوات والدعاء إليها"¹

5 - قال عياض : "لا خلاف في وجوب طاعة الأمراء فيما لا يخالف أمر الله، وما لم يأمر بمعصية"²
قال الله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم }³

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : "من أطاعني فقد أطاع الله ومن يعصني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني"⁴

6 - قال عياض : "أجمع العلماء على أن الخوارج و أشباههم من أهل البدع والبغي، متى خرجوا و خالفوا رأي الجماعة وشقوا عصا المسلمين، ونصبوا راية الخلاف، أن قتالهم واجب، بعد إنذارهم والإعذار إليهم، قال الله تعالى : {فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله}"^{5,6}

نفع الله عياضا بما لاقى من محن ;

قال ولده : " واخبرني بعض أصحابنا قال لي: رأيت أباك في المنام في زي حسن ومركب بهي فكنت أسلم عليه وأقول له يا سيدي أمّت فيقول لي :نعم فأقول له بماذا نلت هذه الدرجة ؟ قال: فيقول لي: بجوازي إلى الجزيرة الخضراء وسفري إلى مراكش."⁷

¹ إكمال المعلم: 246/6

² نفسه: 420/6

³ النساء: 59

⁴ صحيح مسلم : كتاب الأمانة - شرح النووي : 223/12

⁵ الحجرات: 4

⁶ إكمال المعلم: 613/3

⁷ التعريف: 99

ورحم الله عياضا، فقد كان يردد كثيرا ما سمعه من القاضي أبي
علي الصديقي، أنه سمع الإمام أبا محمد التميمي ببغداد يقول : "مالك
تأخذون العلم عنا و تستفيدون منا ثم لا تترحمون علينا "¹ رحمه الله
رحمة واسعة وجزاه عما قدم من علم وعمل أحسن الجزاء

¹ الصلة : 81/2 طبعة دار الكتب العلمية باعتناء جلال الأسيوطي